من تراب الطريق (٣٢٦) المقبول وغير المقبول(*)

كثيرًا ما نستخدم تعبير المقبول وغير المقبول ، دون أن نعى معنًى محددًا لأى من التعبيرين ، وهل هما فى إطار المطلق دائمًا ، أم أنهما يتصرفان فى بعض الأحوال إلى محيط مخصوص ؟

فإذا تساءلنا ما هو المقبول وما هو غير المقبول فى بيئة بعينها فى عصر بعينه ؟ فإننا لا يمكن أن نستقر على إجابة واحدة ، لأنه لا توجد بالفعل إجابة واحدة .. والسبب أن الجنس يختلف والعمر يختلف والتربية تختلف وكذلك المزاج والتكوين والذوق !

وإذا كانت هذه العوامل تؤدى بعامة إلى اختلافات ، فإن بعضها يُعزى إلى أسباب خاصة بالمتعاملين أو المتلقين .. فالمقبول من الإناث عند الكافة ، ليس مقبولًا من الذكور عند الكافة ، فلا تقبل كل نفس طريقة الكلام والحركات والملبس والزينة ، أو تقبل نفس أسلوب المخاصمة والمصالحة أو المصادقة ، أو نفس الانفعالات من رضًا وغضب وفرح وحزن ولذة وألم !

والمقبول عند الإناث من الإناث قد لا يُقبل من الذكور ، والمقبول بعامة عند الإناث قد لا يكون مقبولًا دائما عند الذكور .. لأن الجنس

(*) المال ١٠/ ٩/ ٢٠٠٩

فارق طبيعى فى نظر الكافة يحدوهم إلى الموافقة فى مواضع وإلى المخالفة فى مواضع أخرى .

كذلك المقبول من الصغير أو المراهق .. ليس دائمًا مقبولًا ممن هو أكبر فى السن أو أعرض فى التجربة والخبرة والفهم . والمقبول من ابن القرية أو البادية ، ليس مقبولًا دائما من ابن الحضر الذى عاش وتعلم فيه أو تعاطى الحضارة فى المدن والعواصم .

والمقبول من حاد الطبع الضيق الصدر أو السطحى الذى لم يهذب ذوقه الاجتماعى أو الأدبى أو الفنى ، ليس مقبولًا دائمًا من أصحاب الاعتدال وسعة العقل والأفق أو من ذوى الأذواق وأصحاب الإحساس الراقى والدماثة فى الخلق والسلوك .

ونحن نستعمل كلمة مقبول وعبارة غير مقبول بافتراض وجود «وحدة» أو معيار واحد لهذا الاختلاف بين كل منهما .. هذه الوحدة التى تضيق أو توسع دائرة المقبول وغير المقبول .. ونحن نفترض فى نفس الوقت أن من حقنا فى تعاملنا بعضنا مع بعض ، أن نصدر الحكم الصحيح بالمقبول والمرفوض .. وكثيرا ما نخطئ التقدير والحكم .. فنزيد بالخطأ فيه أسباب الاختلاف على ماهو مقبول أو غير مقبول فنضيف سببا ذا طابع فردى شخصى يتأثر حتما بعواطفنا ورغباتنا أو ادعاءاتنا أو نقص معلوماتنا !

هذا وإذا كانت الأسباب الأخرى ترتكز أصلًا على أساس من الأعراف والعادات المتوارثة معترف بها من البيئة والعصر اللذين نعيش

فيها ، فإن ذلك لأنها غير مدونة أصلًا أو غير مدونة تدوينا ملزما للناس .. لذلك تتعرض للنزاع فى حدودها وأحيانًا للنزاع فى وجودها نفسه ، وقد يتخذ هذا النزاع شكل حركة من متعددين يشتركون فى نفس الاتجاه أو نفس الرأى .

من أجل ذلك كان «الاتفاق» مطلبًا قد يكون صعبا أو بعيد المنال فى بعض الأحوال ، لأن تكوين الناس وأحوالهم وأهوائهم ومشاربهم ورغابهم مختلفة أشد الاختلاف ، وتختلف تبعًا لذلك نظرتهم وحكمهم على الأمور والمقبول وغير المقبول ، فإذا كان العرف المعتاد يقدم قاعدة مقبولة فى الأحوال العادية ،إلاّ أن اختلاف الدوافع والنوازع كثيرا ما يؤدى إلى منازعات تتنوع شكلا ومقدارًا بحسب القدرة على صواب الرؤية وتحكيم العقل !

*****